تشكل مفارقة الحدث في كتاب (مصارع العشاق) لجعفر بن أحمد السراج البغدادي (ت ٥٠٠ هـ)

الباحث. بسام سهب عبد النبي
أ.د. علي عبد الإمام مهلهل الأسدي
جامعة ذي قار / كلية الآداب
journalofstudies@gmail.com

الملخص:

يفسر الحدث على أنه (سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية ، نظام نسقي من الأفعال ، وفي المصطلح الأرسطي فإن الحدث هو تحول من الحظ السيء إلى الحظ السعيد أو بالعكس)، ولهذا فإن مفارقة الأحداث تقع عندما تتوقع الضحية توقعات ايجابية أو سلبية ، فتأتي الأمور بما لا تتوقعه، (فمفارقة الحدث مثلاً ، التي تكون فاعلة في مجال الزمن ، تتسم ببناء درامي واضح ، ومثلها المعروف إغراق الضحية بمخاوف معينة أو آمال أو توقعات بحيث يتصرف على أساسها المعروف ويتخذ خطوات ليتجنب شراً متوقعاً أو يفيد من غير منتظر ، لكن أفعاله لا تؤدي إلاّ إلى حصره في سلسلة من الأسباب تؤَدي إلى سقوطه المحتوم) ، فتحدث صدمة بين ما تتوقعه وتترجاهُ وبين ما يحدث.

الكلمات المفتاحية: (تشكل مفارقة الحدث، كتاب مصارع العشاق، جعفر بن أحمد السراج البغدادي).

he event paradox is formed in the book (The Lover's Wrestler) by Jaafar bin Ahmed Al-Sarraj Al-Baghdadi (d. ٥٠٠ AH)

Bassam Sahab Abdel Nabi
Dr. Ali Abdel-Imam Muhalhel Al-Asadi
Dhi Qar University / College of Arts

Abstracts:

The event is interpreted as ((a series of related facts that are characterized by unity and significance and follow through a beginning, middle and end, a systematic system of actions, and in the Aristotelian

term, the event is a shift from bad luck to good luck or vice versa)), and for this reason the paradox of events occurs When the victim expects positive or negative expectations, then things come out that she does not expect, ((for example, the paradox of the event, which is effective in the field of time, is characterized by a clear dramatic construction, and its well-known example is flooding the victim with certain fears, hopes or expectations so that he acts on the basis of which he is known and takes steps to avoid An expected evil or benefit from an unexpected one, but his actions only lead to confining him to a series of causes that lead to his inevitable downfall)) so a shock occurs between what you expect and hope for and what happens. Based on that, the research included three axes, the first axis: the concept of paradox. And the second axis: the imaginary event. And the third axis: the realistic event.

Keywords: (The paradox of the event is formed, the book “The Lover’s Wrestler”, Jaafar bin Ahmed Al-Sarraj Al-Baghdadi).

اولاً : مفهوم المفارقة

تعددت مفاهيم المفارقة لدى الأدباء والنقاد ، إلا أن مفهومها يكاد ينحصر في الدهشة والمفاجئة وتوقع غير متوقع ، ولهذا تصفها سيزا قاسم بأنها ((تعبير غير مباشر عن موقف عدواني ، يقوم على التورية))[١] . اما ناصر شبانة يعرف المفارقة على أنها ((انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة ، وغير مستقرة ومتعددة الدلالات ، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع))[٢] . ويعرف المفارقة علي عشري زايد بقوله بأنها ((تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر ، لإبراز التناقض بين الطرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض))[٣] . ويرى عبد العزيز الأهوائي ((أنها إثارة التعجب

من ظاهرتين متناقضتين ، ولكن احدهما لا تبطل الأخرى ، أو تسجيل التناقض بين ظاهرتين ؛ لإثارة تعجب القارئ ، دون تفسير أو تعليل))[٤] .

ثانياً : الحدث الخيالي المفارق

وتتجلى مفارقة الأحداث في كتاب (مصارع العشاق) بصورة بارزة ، فالعشق في جميع نماذج الكتاب مندحر مصروع تنتهي حكاية عشقه الى ما لا يتوقعه فلا نوال من المحبوب ، ولا لقاء معه ، ولا انماء به وقصص الكتاب وحكاياته كلها شاهدٌ على الخيبة والخذلان والمصرع ، ومن تلك الحكايات حكاية الزاغ الطير العاشق ، التي اوردها جعفر السراج ، بعد سلسلة من السند يذكر الخبر من اول رواته يقول : **((أخبرنا ابو علي محمد بن الحسين الجازري قال حدثني محمد بن مسلم السعدي قال : وَجهَ إلي يحيى بن أكثمَ يوماً ، فصرتُ اليه ، وإذا عن يمينهِ قمطرة[٥] مُجلدةٌ ، فجلستُ ، فقال : افتح هذهِ القمطرةَ ، ففتَحتُها ، فإذا شيء قد خرج منها ، رأسُهُ رأسُ إنسانٍ ، و هوَ من سُرتهِ الى اسفلهِ خلقةُ زاغٍ[٦] ، وفي صدره وظهرِه سَلعتان[٧] ، فَكبرتُ وهَلَلت ، وفزعتُ ، ويحيى يضحكُ ، فقال لي بِلسانٍ فصيحٍ طُلقٍ ذَلِق :** [الهزج]

انا الزاغَ ابو عجوه ... انا ابنُ الليثِ و اللبوه
أُحِب الراحَ و الريحا ... نَ و النشوةَ و القهوه
فلا عدو يدي يخشى ... و لا يحذرُ لي سطوه

ثم قال : يا كهلُ انشدني شعراً غزلاً ! فقالَ لي يحيى : قد انشدَكَ الزاغُ ، فأنشده ، فأنشدته : [الطويل]

أغرَكَ أن أذنَبتَ ثَم تتَابَعت ... ذنوبٌ ، فلَم اهجُركَ ، ثَم ذنوبُ
و أكثرتَ حتى قلتَ ليسَ بصارمي ... و قد يَصرِمُ الإنسانُ و هوَ حبيبُ

فصاحَ : زاغ زاغ زاغ ، و طارَ ، ثم سقطَ في القِمَطرَة . ففلتُ ليحيى : أعز الله القاضي ، و عاشقٌ ايضاً ! فضَحِكَ . قلتُ : أيها القاضي ! ما هذا ؟ قال : هوَ ما تراه ،

وجه به صاحبُ اليمَنِ إلى أمير المؤمنين ، و ما رآه بعد ، و كتَبَ كِتاباً لم افضُضهُ ، وأظن أنه ذكر في الكِتابِ شأنَهُ و حالَه))[٨] .

فيحيى ابن اكثم يطلب من محمد بن مسلم السعدي ، أن يفتح القمطرة فيفتحها باطمئنان فهي مكانُ حفظ الكتب وهاذا ما توقعه محمد بن مسلم إلاّ أنه وبعد فتح القمطرة تفاجأ بما لم يتوقعه ، اذ خرج له مخلوق عجائبي نصفه انسان ونصفه الأخر طير وهو الزاغ (الغراب) وهنا يتغير مسار الحدث ويجري بما هو مفارق للتوقع ، بل أن الأحداث المفارقة تتلو تباعاً ، فالزاغ يتكلم **(بلسان طلق ذلق)** ، فالأحداث تسير على خِلاف ما هو متوقع ، فينشد الشعر وينسب نفسهُ الى الليث واللبوة ويحب الريحانَ والنشوانَ والقهوة ، فكلامهُ يشير الى انهُ كائن غريب ، ثم بعد أن انتهى الزاغ من انشاد الشعر طلب من محمد بن مسلم أن ينشده شعراً في الغزل ، وهو يصيحُ ثم يسقطُ في القمطرة ، فيندهش محمد بن مسلم بقولهِ (وعاشقٌ أيضاً) . فالأحداث المفارقة اخذت تتوالى تباعاً ، من حدثَ أخر، كما مبين في المخطط ادناه .

[فتح القمطرة]

↓

[توقع وجود كتاب]

↓

[ظهور نصف انسان ونصف طير]

↓

[الكائن العجيب يتكلم بِلسان فصيح وينشد الشعر ويطلب شعراً]

↓

[الزاغ في أصله أنسان عاشق متيم]

ونقف على مفارقة الحدث في حديث ، (اللص العاشق والمرأة التي أحبها) ، فقد جاء في كتاب مصارع العشاق ، **((أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن محمد السواق قال : حدثنا ابن ادريس عن الأعمش قال : كان في بني اسرَائيلَ رجُلٌ لِصّ يُقولُ له برزين المَناقُيب ، فتاب ، و كان يُحَدّثُ الناسَ عمّا كانَ فيه ، فقال : اعجَبَتني امرأةٌ في ناحية من نواحي الكوفَة ،فأخذت سيفي و خرَجتُ في السَّحر ، فلقيتُ بعيرَ سقاء ، فَضَربتُ عُنُقه ، ثمّ توجهتُ نحوها فَتَسوّرتُ عَليَها ، فَعالجتها ، فلم أقدر عليها ، و امتَنَعَت أن تدخلَ معي في الحرام ، فجَمَعتُ يدي في السيف ثمّ ضربتُ به وسط رأسها ثمّ انصرفتُ ، فقلتُ : لأنظُرنّ إلى أثَرِ سيفي . فعُدتُ إلى موضع البعير فإذا البعيرُ مُلتقي و رأسه ناحيةً ، ثمّ أتيتها بعدُ لأعلم الخبر ، فإذا هيَ وسط النساء تحدثُ تقولُ : ولله لضربَ وسط رأسي ، فما أخطأ منه شعرة))**[٩].

ينطلق اللص برزين المناقيب متأبطاً سيفه في السحر قاصداً امرأة ملكة لبه ، وقد لقي بعير سقاء فضرب عنقه ضناً منه أن اللقاء سيطيب وأن الشواء يليق بإفطار تلك الحسناء الطليعة ، الاّ أنّ شدة امتناعها ، وسمو عفتها كسرت حدث التوقع فإذ كان الرجل معتداً بسطوته ، وقد ضرب عنق البعير ففصله ، إلاّ أنه ام يكن ثابت الجنان في موقف المرأة بل كان مضطرباً مختلاً منفعلاً ، تحدوه الغريزة والشهوة ، وهنا ((مفارقة الأحداث هي المفاجأة))[١٠]التي حدثت مع اللص .

ثانياً : الحدث الواقعي المفارق

ومن مفارقة الأحداث الواقعية هو الخبر الذي يذكره جعفر السراج خبر (فراقية ابن زريق) ، الذي يقول فيه ، **((حدثني بعض أصدقائي أن رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرب إليه بنسب، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه ويختبره ، فأعطاه شيئاَ نزراَ ، فقال البغدادي : إنا للهِ وإنا اليه راجعون ! سلكتُ البراري و البحارَ و المَهامِه و القفارَ إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر ؟ فانكسرَت إليه نفسه و اعتل فمات .**

وشغلَ عنه الأندلسي أياماً ، ثمّ سأل عنه فخرجوا يطلُبونه ، فانتبهوا إلى الخال الذي كان فيه وسألوا الخانيّة عنه ، فقالت : إنه كان في هذا البيت ، ومذ أمس لم أراه ، فصعدوا فدفعوا الباب ، فإذا بالرجل ميتاً ، وعند رأسه رُقعَة فيها مكتوب : [البسيط]

لا تَعذَليهِ ، فأن العَذلَ يولِعُهُ ... قد قلتِ حقاً ، و لكن ليس يسمعُهُ

جاوَزتِ في نُصحِهِ حداً اضر بِهِ ... من حيثُ قَدرتِ أن النصحَ ينفعه

قد كان مضطلِعاً بالحَطبِ يحمِلُه ، ... فضُلعَت بخطوب البَينِ اضلُعه(١١)

ما آب مِن سفرٍ إلا و ازعَجَهُ ... عزمٌ إلى السَفَرِ بالرُغمِ يُزمِعُه(١٢)

كأنما هُوَ في حل و مُرتَحَلٍ ... مُوكلٌ بِقَضَاءِ اللهِ يَذرعه

استَودعُ الله ، في بغداد ، لي قمراً ... بالكَرخِ من فَلَكِ الأزرَارِ مَطلعُه(١٣)

كم تَشفَعَ بي أن لا أُفَارِقَهُ ، ... و للضروراتِ حالٌ لا تُشفِّعُه(١٤)

و كم تَشَبثَ بي يومَ الرحيل ضُحى ، ... و أدمُعي مُستَهِلاتٌ و ادمُعُه

أُعطيتُ ملكاً فلم أُحسِن سياستَه ، ... و كلُ مَن لا يسُوسُ المُلكَ يخلعُه

و مَن غدا لابساً ثوبَ النَعيمِ بِلا ... شكرٍ عليه ، فعنهُ اللهُ ينزِعهُ))(١٥)

الحدث المفارق – هنا – يدور حول سفر ابن زريق من بغداد الى الأندلس وما آل إليه حاله بعد أن عَدلته حبيبته عن الرحيل طلباً للنوال من أمير أندلسيّ يرتبط معه برباط النسب ، وقد حدّثته نفسه بالراحة والرخاء حال اتصاله بهذا الأمير الثري . إلا أن ما حدث على أرض الواقع كان مفارقاً لما مُنيت به النفس ، فقد حدث مالم يكن بالحسبان وانتهت الحكاية بانكسار الذات وخيبتها وتذوقها مرارة الموت ، لما نالته من ذلّ وهوان . وهكذا كان الحدث الحاصل ذو تجلٍ تحوليّ ، كما يسميه أحد الباحثين(١٦) .

ويحدث ذلكَ ايضاً مع (فتاة مراديّة خطبها شيخٌ بكري) ، فقد قال : **((خَطَبَ رجُلٌ من بكر بن وائل إلى رجلٍ من مُرَاد ابنَتَه فَهَمّ أن يُزَوّجَهُ ، فبَينَا الجاريَةُ يوماً تَلعَبُ معَ الجوَاري ، إذ جاءَ الخاطِبُ فقُلن لها : هذا خاطِبُكِ ؟ فقالَت : ما رجلٌ هوَ أحبّ إليّ أن**

أكونَ قد رأيتُه منه . فلمّا رأته رأت رجلاً كبيرَ السَّنّ قَبيحَ الوَجه ، فقالَت : أوَقد رَضيَ أبي به ؟ قلنَ : نَعَم ! فدَخَلَتِ البَيت ، فاشتَمَلَت على السيف و شَدّت عَلَيه ، فَسَبَقَها عَدواً ، و نالَتهُ بضَربَةٍ))[١٧] .

من يتأمل الحدث يجد أن الفتاة شأنها شأن الفتيات ترغب بزوج حسن المظهر ، وسيم المنظر ، حلو الشمائل تتفاخر به أمام ربيباتها ، فأحبت أن تراه بعد أن ارتضاه أبوها زوجاً لها إلاّ أنّ المرادية حين رأت خطيبها بُهتت ، وتساءَلت عجبةً ، أوَ قد رضي أبي به ؟ قلن : نعم : وهنا حدث الصراع في ذات البنت بعد أن قرنت اختيار الأب ورضاه بهيئة الرجل الخاطب . بعد أن خاب رجاؤها بأبيها الرجل الأقرب الى روحها ، الأمر الصادم الذي أدّى الى اتخاذ قرارها بذاتها متخلية عن سندها وملاذها ، فاستلت سيفها وشدّت على خطيبها الهارب ونالته بضربة . وفي الأن ذاته تنقلب مجريات الحدث مع الرجل البكري الخاطب ، المسن ، قبيح الوجه . فبعد أن كان منتشياً بالفوز بامرأة حسناء فتية ، واثقاً من الاجتماع بها ، وقد كسب ودّ ولي أمرها (الأب) وما له من سلطة أسرية في الثقافة العربية يحدث له ما لم يكن في الحسبان ، فتخيب توقعاته وتُهد آماله وأحلامه .

فبعد هذا الأنشاء والخيلاء والزهو يتغير مجرى الحدث المفارق ، فيغدو الشيخ صعلوكاً هارباً أمام فتيّة صغيرة ، وقد لاحقته قهقهات الفتيات الساخرات .

ومن مفارقات الأحداث قصة (قيس بن ذريع ولبنى) ، والتي اوردها جعفر السراج بقولة **((خرجَ قيس بن ذَريح إلى المدينة يبيعُ ناقة له ، فاشتراها زوج لُبنى وهو لا يعرفه ، فقال له : انطلقْ معي أعطِك الثمن ، فمضى معه . فلما فتح البابَ ، فإذا لُبنى ، وقد استقبلت قيساً ، فلما راها ولى هارباً ، وخرجَ الرجلُ في اثره بالثمن ليدفعه إليه ، فقال له قيس : لا تركب لي والله مطيتينِ أبداً . قال : انتَ قيس بن ذَريح ؟ قال : نعم ! قال : هذه لبنى قد رأيتها فقِف حتى أخيرها ، فإن اختارتكَ طلقتها ، وظنَ القُرشي أن له في قلبها موضعاً ، وأنها لا تفعلُ . قال له قيس : افعل . فدخلّ القرشي عليها ، فخيرها ،**

فاختارت قيساً ، فطلقها ، وَقامَ قيس ينتظرُ انقضاء عِدتِها ليتزوجها ، فماتت في العِدّة .))[١٨] .

هناك أكثر من مفارقة في سياق الحدث ، وقد عملت هذه المفارقات على تحقيق دهشة القارئ / المتلقي من خلال كسر توقعاته ، لما تتميز به من قدرة على الإخفاء والإيهام باتجاهات عدة حتى معرفة حقيقة الحدث المفارق والمتأمل من النص (قيس ولبنى) يجد أن مجريات الحدث تسير على ما يرام من خروج قيس لبيع بعيره وحتى وصوله لبيت المشتري لاستلام ثمن البعير ، وهنا يقع القارئ في المفارقة الأولى أثناء فتح باب المشتري ، اذ يفاجأ قيس ، بل يفاجأ متتبع الحدث بمثول لبنى متيمة قيس – ومتيمها – أمام ناظره ، فيولي هارباً بعد أن فقد صوابه ، وقد أُذهل من وقع الحدث . والأمر ذاته كان مفارقاً لزوج لبنى ، فلم يعلم الرجل بالحكاية ، ولم يعرف العاشق الواله ، حتى جاءت الاجابة الملغزة من قيس (لا تركب لي والله مطيتين ابداً) . إلا أن الرجل قد وقع في الفخ من دون أن يشعر ، وهي مفارقة أخرى تضمنها حدث الحكاية ، فقد حملته الغيرة العربية على مكاشفة زوجه لبنى ، وترك زمام الاختيار بيدها ، وعلى ما يبدو أن الرجل كان واثقاً عندما أوكل أمر الاختيار للبنى على أنها تختاره بوصفه زوجها الكفؤ الجدير بحبها ، وهنا حدثت المفارقة الثالثة ، فقد جاء القرار لصالح العاشق (قيس) على حساب الزوج ، وهذا مالم تعهده القيم العربية السائدة ، فقد انتصر الحب الصادق على الزواج التقليدي . وعاد الهارب المجنون جذلاً مسروراً وقد فاز بقلب عشيقته ووفائها ، إلا أن مفارقة الحدث الكبرى (الرابعة) وقعت في ختام الحدث ، عندما كان قيس يعد الساعات بل الثواني لانقضاء عدتها ليتزوجها ، ويعدّ معه المتلقي أيضاً إلا أنها ماتت قبل انقضاء العدة وهذا هو الحدث المفارق الأكبر . ليتحول الفرح الى حزن وكمد .

ومما جاء في كتاب (مصارع العشاق) من أحداث ووقائع مفارقة لما يتوقعها صاحب الحدث (الضحية) هو حديث إحدى النساء مع زوجها ، وقد سنحت لها خلوة به ، فاغتنمها

لتسأله ، أي عملك أرجى عندك ؟ فقال : **((... لما ترعرعتُ ، وأنا بالري وكانوا يريدونني على التزويج ، فأمتنعُ ، جاءتني امرأةٌ فقالت : يا أبا عثمان ! قد أحببتكَ حباً ذَهبَ بنومي وقراري ، وأنا أسألكَ بمُقلبِ القلوب ، وأتوسلُ اليكَ به ، أن تتزوج بي . قلت : ألكِ وَالَدٌ ؟ قالت : نعم ، فلان الخياط ، في موضع كذا وكذا ، فراسلتُ أباها أن يزوجها إياي ففرحَ بذلك وأحضرَ الشهود ،فتزوجتَ بها . فلماَ دخلتُ بها وجدُها عوراءَ عرجاءَ مشوهةَ الخلقِ ، فقلت ، اللهمّ لكَ الحمدُ على ما قدرته لي . فكان اهلُ بيتي يلومونني على ذلك ، فأزيدها بِراً وإكراما ، إلى أن صارت بحيثُ لا تَدَعني أخرجُ من عندها ، فتركتُ حضور المجلس إيثاراً لِرضاها ، وحِفظاً لقلبها ، ثمَ بقيتُ على هذه الحال خمسَ عشرةَ سنة ، وكأني في بعض أوقاتي على الجمرِ ، وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت ، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي .))**[١٩] .

تبدو مفارقة الحدث منذ مطلع النص ، فأهل الفتى يحثوه على التزويج وهو يمتنع سعياً منه للبحث عن امرأة أحلامه الفاتنة ، وبين إلحاح الأهل وتأني الفتى والتدقيق فيما حوله من نساء بحثاً عن الجمال والوسامة ، تقع المفارقة فقد غشيته امرأة تخفي عيوبها بمهارة لافتة ، تطلب منه الزواج بأسلوب حذق يثير مكامن النفس ، ويلهب رياض الوجدان ، مدعية أن حبه ذهب بنومها وقرارها ، وقد توسلت إليه بعد أن أقسمت بغليظ الأيمان أن يتزوجها فرق قلب الرجل – وقد بلع الطعم من دون أن يشعر – وظنّها فارسة أحلامه المنتظرة ، فراسل أباها الذي تلقى الخبر بسعادة غامرة وقد حصل الزواج . يقول : (فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مشوّهة الخلق ، فقلت : اللهمّ لك الحمد على ما قدرته لي) وهنا تحدث الصدمة ، هذه عيوب امرأة مخفية كان زوجها يبحث عن جميلة النساء . وإذا كان سياق الحدث يدعو الى رفض الرجل لهذه الإمرأة والتخلي عنها إلا أنه حمد الله وشكره على ما قدر له ، وكان كلما لامه أهل بيته على ذلك زاد براً واكراماً لها ، بل زادت هذه القبيحة العاشقة في قمع الرجل والإستحواذ على مقدراته ، فلم تسمح له بالخروج حتى أنه ترك حضور المجلس أيثاراً لرضاها ، وحفظاً لقلبها الواله المتيم ، فلم يُظهر لها شيئاً يعكر

صفوها طيلة خمس عشرة سنة ، حتى ماتت . وهكذا أجلَّ الرجل عشق المرأة الصادق ، وهوسها وجنونها به ، راضياً متحملا عيوبها على مضض ، راجياً ثواب الله تعالى . ويمكن القول أن مفارقة الحدث هنا هو توقع غير المتوقع ، وأن الصورة تكون على نقيض ما كان يبدوا للوهلة الأولى كما حدث مع أبي عثمان[٢٠] .

وتطالعنا مفارقة الحدث في نصّ وسمه محقق الكّتاب ب (ليلى الغريبة) جاء فيه **((كان رجلُ منا يقال له : مُرة تزوجَ ابنةَ عمّ له جميلة يقال لها : ليلى ، وكانَ مُستهاماً بها ، فضُربَ عليه البَعثُ إلى خُرَسانَ فَكَرِهَ فراقها ، واشتدَّ عليه ، ولم يجد من ذلك بدّاً ، فقال لها : أكرهُ أن أخلفك ، وقلبي منه بك . قالت : اصنع ما شئتَ ، فمرَ برَاذان ، وبها رجلٌ من قومه ، له شرفٌ وسؤدد ، فذكرَ حاله ، وأمرَ امرأتهَ ، وقال : اخلفها عندَ عيالك وأهلك حتى أقدم ، قال نعم ! فأخلوا لها منزِلاً ، فقرأ ، ثمّ تَعَجل ، فلما صارَ براذان ، جَلسَ قريباً من القصرِ الذي كانت فيه امرأته ، حتى يُمسي ، وكره أن يدخلُ نهاراً . فخرجت جاريةٌ من القصر ، فقال لها : ما فعلت المرأة التي خلفتها عندكم ؟ قالت : أما ترى ذلك القبرَ الجديد ؟ قال : بلى ! قالت : فإن ذلك قبُرها فلم يصدق حتى خرَجَت أخرى ، فسألها ، فقالت له مثلَ ذلك ، فأتى القبرَ ، فجعل يَبكي ويَتمرغُ عليه ، ويرثيها ...))**[٢١] .

إن مفارقة الحدث تفاجئ العاشق (مرّة) وتفاجئ القارئ في النص أيضاً ، وتقدم له نتيجة صادمة لما حرص عليه ، إنها مفارقات الحياة التي جسدها النص ، فهي اسقاط على حياة الأنسان الساعي لسعادة العيش وطول البقاء لكنّ مفارقة الحدث (وفاة الزوجة) بعد أن سعى زوجها بشدة لتأمين مقامها تحول مشهد الحياة والحضور الى مشهد للفناء والغياب . إنه هاجس التحوّل والفناء ، وضحية الزوال ، التي تجابه كل ذات تشرئب خارج إطار الآن لتطلّ على مجاهيل المستقبل[٢٢] فيحدث للعاشق ما لم يكن بالحسبان وتنقلب توقعاته من السعادة الى الحزن بعد أن جاء محملاً بالآمال باللقاء مع الحبيب .

ومن مفارقة الحدث المخيب لأمال العاشق ما نقله جعفر السراج في كتابه مصارع العشاق ، جاء فيه **((كانت عبدةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية عندَ هشام بن عبد الملك ، وكانت من أجمل النساء ، فدخلَ عليها يوماً ، وعليها ثيابٌ سود رقاقٌ من هذه التي يلبسها النصارى يومَ عيدهم ، فملأتهُ سرُوراً حينن نَظَرَ إليها ، ثم تأملها فقَطّبَ ، فقالت : ما لكَ يا أمير المؤمنين ؟ أكرهتَ هذه ، ألبسُ غيرها ؟ قال : لا ! ولكن رأيتُ هذه الشامة التي على كَشحكِ من فوق الثياب ، وبك يذبحُ النساء ، وكانت بها شامة في ذلك الموضع ، أما إنهم سوف ينزلونك عن بغلةٍ شَهباء ، يَعني بني العباس ، وَرْدّة[٢٣] ، ثم يَذبحونكِ ذَبحاً . (...) ، فأخذها عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان معها من الجواهر ما لا يُدرى ما هوَ ، ومعها درعُ يواقيتَ وجوهر منسوجٌ بالذهب ، فأخذ ما كان معها وخلى سبيلها . فقالت ، في الظلمة : أيّ دابةٍ تَحتي ؟ قيلَ لها : دَهماءُ ، في الظلمة ، فقالت : نجوتُ . قال : فأقبلوا على عبد الله بن علي ، فقالوا : ما صَنعتَ ؟ أدنى ما يكونُ يبعثُ ابو جعفر إليها ، فتُخبرهُ بما أخذتَ فيأخذه منك ، اقتُلها ،فبَعثَ في اثرها ، وأضاءَ الصبح ، وإذا تَحتها بغلةٌ شَهباء وَردَة . فلحقها الرسول ، فقال : أُمرنا بقتلِكِ : قالت هذا أهونُ عليّ فنزلت فشدّت دِرعها من تحتِ قدَميها وكمبها .))**[٢٤] .

يتخلل النص مشاهد مفارقة ، اذ يتحول سرور هشام بن عبد الملك حين رأى زوجه على أبهى صور التبعل الى همّ وكمد ، وقد رأى شامة على كشح زوجه ، فعنّ له أمراً سيئاً ، وحدّثته نفسه بما سوف يحدث . ثم تسير الأحداث ، وتمضي الأيام فيقع ما توقعه هشام ، ونصل الى ذروة الحدث حين لقى عبد الله بن علي العباسي القبض على (عبدة) وقد سلب ما تملك من جواهر ونفائس ، وخلى سبيلها ، فراحت تسترجع حديث زوجها في تلك الليلة ، بعد أن عرفت أنها على بغلة دهماء ، وقد تنبأ بذبحها ، فقالت : نجوت . وسارت طليقةً حتى أضاء الصباح ، اذ انحدر الموقف من ذروة الحدث وتأزمة الى درجة أفضل مما كان عليه ، فسلب المال أهون من القتل . إلاّ أن الأحداث تتصاعد مجدداً لتصل الى المفارقة العظمى

فقد ألّبت الحاشيةُ على بن عبد الله وحّرضوه على قتل (عبدة) ، فلحقها رسوله وقتلها وهي تردد هذا أهون عليّ ، بعد أن شدّت درعها من تحت قدميها وكميها .

ومن مفارقة الأحداث خبر (من توفاك يحبك) ، والذي اوردهُ جعفر السراج وفيهِ يقول **((استشرفَ بعضُ المترفين إلى طريقة الصوفية والاختلاط بهم وملابستهم ، فشاور في هذا بعض مشيختهم ، فرّده عمّا تشّوف إليه من هذا ، وحذّره التّعرض له ، فأبت نفسه إلا ما جذبته الدعاوى إليه ، وعَطفته الخواطرُ عليه ، فمالَ إلى فريقٍ من هذه الطائفة ، فَعِلقَ بهم ، واتّصل بجملتهم ، ثمّ صَحِبَ جماعةً منهم متجّهةً إلى الحجّ فعجز في بعض الطريق عن مسايرتهم ، وقصّرَ عن اللّحاق بهم ، فمضوا وتَخلّفَ عنهم ، واستند إلى بعض الأميال إرادة الأستراحة من الإعياء والكلال . فمرّ به الشيخُ الذي كلّمه في ما حصل فيه قبلَ أن يتسنّمه ، فنهاه عنه وحذّره منه ، فقال هذا الشيخ مخاطباً له :** [البسيط]

إنّ الذينَ بخَيرٍ كُنتَ تَذكُرُهم قَضَوا عَليكَ وَعَنهُم كنتُ أنهاكا

فقال له الفتى : ما أصنعُ الان ؟ فقال له : [البسيط]

لا تطلُبنّ حَياةٌ عِندَ غَيرِهِمُ فَلَيسَ يُحييكَ إلا مَن تَوَفاكَا))[٢٥]

يعجب هذا الرجل المترف بالطريقة الصوفية ، وقد ظن أن ذلك التحول في حياته سهل يسير ، فهو متناسياً أنه رجل مترف ، ولذلك نصحه أحد المشايخ بالابتعاد عن هذه الجماعة بعد أن طلب مشورته فهو لا يتحمل مشاق طرق الصوفية وعذاباتهم ولم يعهد تقشفهم إلاّ أنه لم يأخذ بنصائح الشيخ ، فحياتهم البسيطة المتميزة بالتقشف والصبر بعيدةٌ عن الترف ، وهذا ما لا يتحمله الرجل المترف المعجب بالجماعة الصوفية ، فسار مع هذه الطائفة الى الحج ، وتوقع انه يتحمل السفر في الصحراء القاحلة ، اذ أصابه الاعياء والكلال ، وأشرافه على الهلاك ، وهنا وقع الرجل في مفارقة الحدث ، ولم يقدر على الحاق بهم فتخلف عنهم ، فيقع في مفارقة الحدث ، فالرجل المترف أخذته الأحداث الى مسار

معاكس لما توقع ، وذلك لأن مفارقة الحدث تخلق حالة من الدهشة والغرابة لدى صاحب المفارقة الذي ظن أن الأحداث تسير وفق رغبته ، ولكنها المفاجئة التي تخيّب توقعاته وتأخذه الى مساراً و منعطفاً حاداً يغيّر مجرى الحدث[٢٦]، لذلك يذكره الشيخ بأبيات من الشعر بأن القوم الذين سرت في ركبهم قد قضوا عليك وأنك لا تستطيع مجاراتهم في الصبر وتحمل الصعاب ، فالوصول الى الله ليس حصراً في هذهِ الجماعة ، ولن يصيبك الا ما كتبة الله لك .

لذلك يعبر دي سي ميويك عن مفارقة الأحداث بأنها تأتي معاكسة لما يرغب به الأنسان من أمال وتوقعات فتتمثل في ((التضاد بين الأنسان بآماله و مخاوفه ورغباته وأفعاله وبين مصير مظلم))[٢٧] يأتيه دون سابق إنذار .

النتائج

١) تعد المفارقة من المصطلحات النقدية الحديثة الإبداعية التي تطلق العنان للشاعر للأبحار في جماليات اللغة العربية .
٢) استعمل الأدباء العرب المفارقة بصورة واسعة ومدهشة ، وهذا ما ضهر في كتاب (مصارع العشاق) لجعفر السراج .
٣) جاءت قصص واخبار وحكايات العشاق واقعية وخيالية نُسجت من عصور مختلفة ، من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي .
٤) كانت القصص والأخبار والحكايات في كتاب (مصارع العشاق) ، مبنية وفق مبدأ المفارقة ، القائم على التناقض والتنافر والتباين .
٥) عول العشاق على توقع الحدث السعيد أملاً لهم في اللقاء مع من أحبوا ، إلا أن الأحداث المفارقة جاءت مخالفة لما توقعوا .
٦) جاءت القصص والأخبار والأشعار للعشاق ، بصورة مختصرة موجزة لما كان يعانيه العاشق من تمزق عاطفي ونفسي لا يسمح له بالإسهاب .

هوامش البحث:

(١) المفارقة في النقد الغربي ، سيزا قاسم ، فصول ، مج ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٢ : ١٤٢ – ١٤٣ .
(٢) المفارقة في الشعر العربي الحديث ، ناصر شبانة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢ : ٤٦ .
(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط٥ ، ٢٠١٨ : ١٣٠ .
(٤) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ، عبد العزيز الأهوائي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ط ٢ ، ١٩٨٦ : ١١٠ .
(٥) القِمَطرُ والقِمطَرَةُ : ما تصان فيها الكتب ، لسان العرب ، ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٩ : ٣٧٤٠ .
(٦) الزاغ : غراب صغير ريش ظهره و بطنه أبيض .
(٧) غدتان .
(٨) مصارع العشاق ، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، د. ط ، ١٩٥٨ : ١ / ٨٥ – ٨٦ .
(٩) مصارع العشاق : ١ / ١٣٤ – ١٣٥ .
(١٠) موسوعة المصطلح النقدي – الدرامه والدرامي ، دي سي ميويك ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣ : ٣٤٧ .
(١١) مظطلع ، من اضطلع بالأمر : نهض به و قوي عليه .
(١٢) آب : رجع ، عاد . ازعجه : أقلقه ، و قلعه من مكانه . يزمعه : يثبت عليه .
(١٣) الكرخ : سوق في بغداد على ضفة النهر الثانية من دجلة كانت فيها الخمارات . و قوله : فلك الأزرار ، استعار الفلك لجيب قميص الموصوف الطالع و جهه من بين ازراره و جعل الازرار كنجوم لهذا الفلك و في البيت استعارة مجردة و استعارة مرشحة .
(١٤) تشفعه : تقبل شفاعته .
(١٥) مصارع العشاق : ١ /٢٣ – ٢٤ .
(١٦) ينظر : المفارقة في شعر الرواد ، د . قيس حمزة الخفاجي ، دار الأرقم للطباعة والنشر ، العراق ، ط١ ، ٢٠٠٧ : ٢٠٠ .
(١٧) مصارع العشاق : ١ / ١٣١ – ١٣٢ .
(١٨) مصارع العشاق : ٢ / ٢١ .
(١٩) مصارع العشاق : ٢ / ١٣٦ - ١٣٧ .
(٢٠) ينظر : المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك : ١٧٥ .
(٢١) مصارع العشاق : ٢ / ١٠٧ .
(٢٢) ينظر : الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري ، دراسة اسلوبية ، د . علي عبد الامام الاسدي ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٣ : ٣٢٤ .
(٢٣) لونها ابيض يتخللها سواد . وردة محمرة .
(٢٤) مصارع العشاق : ٢ /١٥١-١٥٢ .
(٢٥) نفسه : ٢ / ٢٢٥ .
(٢٦) ينظر : المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن ، ازدهار عبد الرحيم داوود الخلايلة ، (رسالة ماجستير) ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٩ : ٤٧.
(٢٧) المفارقة وصفاتها : ٣٥ .

المصادر:

١. ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ، عبد العزيز الأهوائي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ط ٢ ، ١٩٨٦.
٢. الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري ، دراسة اسلوبية ، د . علي عبد الامام الاسدي ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٣.
٣. عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط٥ ، ٢٠١٨.
٤. القِمَطرُ والقِمطَرَةُ : ما تصان فيها الكتب ، لسان العرب ، ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٩.
٥. مصارع العشاق ، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، د. ط ، ١٩٥٨.
٦. المصطلح السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة عايد خزندار ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٣.
٧. المفارقة في الشعر العربي الحديث ، ناصر شبانة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢.
٨. المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن ، ازدهار عبد الرحيم داوود الخلايلة ، (رسالة ماجستير) ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٩ .
٩. المفارقة في النقد الغربي ، سيزا قاسم ، فصول ، مج ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٢.
١٠. المفارقة في شعر الرواد ، د . قيس حمزة الخفاجي ، دار الأرقم للطباعة والنشر ، العراق ، ط١ ، ٢٠٠٧.
١١. المفارقة في مقامات العصر العباسي ، تغريد ضياء مشفي ، (اطروحة دكتوراه) ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣.
١٢. المفارقة وصفاتها : موسوعة المصطلح النقدي ، دي . سي . ميوك ، ترجمة : د عبد الواحد لؤلؤة ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٩.
١٣. موسوعة المصطلح النقدي – الدرامه والدرامي ، دي سي ميويك ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣.